الفصل السابع

الزوجة الثانية

لـم يخبرنـي حمزة بعد بأنه يبحث عـن زوجة ثانية، لكني عرفت أنـه يبحث عن واحدة، وأتيحت لي فرصة غير متوقعة بالتحدث مع شخص مرّ بهذه التجربة من قبل، عندما ذهبت أنا وحمـزة إلـى متنزه في الظهران في أحد الأيام بعد الظهر لنتناول الغداء مع أحد زملاء حمزة وزوجتـه، فقد كنت متلهفة للتحدث مع زوجة الدكتور (العايد) لأني عرفت أنها زوجته الثانية. تناولنا أطباقًا من اللحم المشـوي والأرز، وفردنا بطانيات وملاءات بلاسـتيكية على العشـب. جلسـ أزواجنا بعيدين عنا؛ لذلك تمكنت من طرح أي أسـئلة أريدها على أم عبدالرحمن دون أن يسمعنا حمزة، اخترنا بقعة تحت بعض أشجار النخيل.

رفعـت أنـا وأم عبدالرحمن النقـاب عن وجهينـا، وتناولنا طعام الغـداء، أكل الأطفال، وذهبوا مسرعين ليلعبوا، وحتى لا أضيع فرصتي التفتّ إلى أم عبدالرحمن فور ابتعاد الأطفال عن مرمى السـمع، حاولت أن أفكر في طريقة ذكية لطرح الموضـوع، لكن في النهاية خرجت الكلمات من فمي دون تفكير.

«كيف التقى الدكتور العايد زوجته الثانية؟».

بدت أم عبدالرحمن مدهوشَـةً من جرأتي، لكنها تنهـدت، وأغلقت عينيها لحظة، بينما تقطب جبينها، عندما تذكرت الأمر.

«التقاهـا في المستشـفى، فهي طبيبة هنـاك مثله، ووقعا في حب بعضـهما، عندما كانا يعملان معًا. مرت أربع سنوات على زواجهما، لكني لا أزال أشعر بالألم، عندما أفكر فيهما».

أشـاحت بوجهها عني؛ لتخفي الدموع في عينيها، ثم مسـحت دموعها بسـرعة، والتفتت إلي، قائلة:

«ماذا تريدين أن تعرفي؟ لقد حدث ما حدث، وتحملت ذلك من أجل أطفالي».

لم أرغب في جرح مشـاعر أم عبدالرحمن، أو أجذب إلينا الانتباه؛ لذلك سألتها بلطف: «هل فكرت يومًا في تركه؟».

هزت رأسها، وعضّت شفتها، قائلة: «لم أتركه؟ فليس لدي شهادة ولا مال، ولن ترضى عائلتي بذلك، حتى لو وجدت طريقة لإعالة نفسي، لذلك سوف أخسر كل شيء».

نظرت إليها نظرة اعتذار، وقلت: «لم أقصد أن أفتح جروحك القديمة».

«لا تقلقي نحن نعيش في منزلين منفصلين بعيدين عن بعضهما، ويحتفظ زوجي ببعض ملابسه في بيتي وبعضها الآخر في بيتها، وأنا نادرًا ما أراهما معًا».

«ما شعور أولادك تجاه ذلك؟».

ابتسمت بفخر، قائلة: «إنهم يقولون لي: لا تقلقي يا ماما، سوف نحصل على شهادات، ونعتني بك، ولن نجعل أي مكروه يصيبك».

في تلك اللحظة جاءت ابنة أم عبدالرحمن، لذلك توقفنا عن الحديث.

عندما عدت للمنزل فكرت في وضعي، فقد طلب حمزة من والديه أن يبحثا له عن زوجة فلسطينية، فهو لم يقع في الحب كما هو الحال مع زوج أم عبدالرحمن، وفي تلك الليلة وصوتي يرتعد قليلًا فاتحت حمزة في موضوع بحثه عن زوجة جديدة.

«هل فعلت شيئًا خاطئًا؟ هل قصرت في واجباتي الزوجية نحوك؟».

ارتبك حمزة، وأشاح بوجهه بعيدًا.

«لا، ليس العلة فيك يا فدوى، فأنت زوجة صالحة كل ما في الأمر هو أن والديّ يتقدمان في العمر، ويحتاجان إلى شخص يعتني بهما في فلسطين».

«لكنك تستطيع أن تجلب خادمة للاعتناء بهما! فلماذا زوجة ثانية؟».

«أرجوك يا فدوى، أنت لا تفهمين عائلتي، فمن غير المعتاد أن نستأجر خادمة للقيام بهذا الأمر؛ لأنهما لن يشعرا بالراحة عندئذ».

وجفت حنجرتي بسبب كبح نفسي عن البكاء.

«لكن ليس من المعتاد أيضًا تزوج امرأة أخرى! فلا أحد في عائلتك تزوج أكثر من زوجة واحدة! فلماذا أنت بالذات؟ لديك إخوة!».

«هذا ما يريده والداي يا فدوى. وإضافة إلى ذلك، توجد كثير من النساء اللواتي اجتزن عمر الزواج في بلدي، ماذا سيفعلن إن تزوج كل رجل امرأة واحدة فقط؟».

obeikandl.com

ضحكت ضحكة سوداوية، وقلت: «إذن هو زواج صدقة؟».

«هذا يكفي».

كنت أعرف أني لا أستطيع أن أجادله أكثر في هذا الموضوع، لكني لم أكتفِ بذلك. ففي صباح اليوم المقبل اتصلت بأم أحمد (المرأة التي دعتني للانضمام للحلقة السعودية) وأخبرتها بكل ما قاله لي حمزة.

«لكن لماذا يريد زوجة أخرى؟ فأنت أنجبت له ولدين وبنتين إلى الآن، وأنت أيضًا طباخة جيدة وذات شخصية لطيفة؟ ماذا يريد أكثر من ذلك؟».

«لا أعرف».

وبعد أن فكرت في معضلتي لحظة قالت لي: «أتعرفين يا فدوى، لقد صدق المثل القديم الذي يقول: (اربطي زوجك بكثرة الأولاد) لذلك عليك أن تطلبي من حمزة أن تنجبي طفلًا آخر، فعندئذ لن يجد وقتًا لزوجة ثانية إن كان لديه خمسة أطفال، اتصلي بي غدًا، وأطلعيني على الأخبار».

انتظرت إلى أن نام الأطفال، ثم ذهبت، وجلست مع زوجي.

«حمزة، أنا أفكر في إنجاب طفل آخر. ما رأيك؟».

اتسعت عيناه، وتغيرت ملامح وجهه، ثم أجابني بكل ثقة: «يمكنك أن تحملي يا فدوى، لكن إن فعلت ذلك فسوف أتزوج».

لم أتوقع ذلك الرد، وأجبته بأني سأضع ذلك في الحسبان. وفي صباح اليوم المقبل اتصلت بأم أحمد، وأخبرتها برد حمزة الغريب على طلبي.

«ماذا أقول له؟».

ضحكت أم أحمد، قائلة: «أنت تعرفين يا فدوى، كم تصبح النساء عاطفيات عندما يحملن، قولي: نعم، لحمزة الآن، وعندما تحملين أخبريه بأنك غيرت رأيك، فعندئذ لن يستطيع فعل شيء».

obeikandl.com

بـدت تلك خطة جيـدة، لذلك أخبرت حمزة لاحقًا في ذلك اليـوم بأنه إذا أنجبت طفلًا آخـر يسـتطيع عندئذ تزوج امـرأة أخرى. فهو على أي حال سينسـى موضـوع الزوجة الثانية، عندما أنجب الطفل.

في شـهر أيلول أصبحت حاملًا بطفلي الخامس، وعندما أخبرت حمزة بذلك قفز فرحًا عن الطاولة، وأسرع نحو الهاتف ليتصل بأبيه أمام عينيّ.

«لقد وافقت فدوى. يمكنك الآن مباشرة الترتيبات».

تملكني غضب شديد، عندما عاد للطاولة، ثم نظر إلي بانزعاج، وقال:

«ما بك يا فدوى؟».

«هل أنت حقًّا جادٌّ في الزواج؟».

«نعم، بلا شك. هل نسيت بهذه السرعة ما أخبرتني به؟».

«لكنك.... كنت تخطط لهذا من قبل. لا يمكنك».

«أنا أحمل بالطفل تسـعة أشـهر، وأعتني به، وأرضـعه. أنا أفعل كل شـيء، والطفل ليس هدية لي فحسب، بل لك أيضًا، وهو يرث اسمك، وليس اسمي، أليست تلك صفقة عادلة؟».

تجاهلني حمزة، ساعيًا لأن يهدئ من نبرة صوتي المتصاعدة.

«حسنًا، حسنًا. دعينا لا نتحدث في هذا الأمر ثانية».

خلال الأشـهر القليلة المقبلة أشـغلني حمزة بنقل مسـكن العائلة إلى راس تنورة، وهي مدينة أخرى في السـعودية، فقد كانت شركة أرامكو تحتاج إلى طبيب أطفال في ذلك الموقع، وتطوع حمزة بالذهاب. وهكذا عشنا في مجمع أرامكو في راس تنورة، وكان شاطئ البحر قريبًا منـا، بالطبع لم يكن حمزة ليسـمح لي بأخذ الأولاد الى هنـاك خلال النهار، لكني كنت أنتظر حتى يغادر لعمله وآخذهم، على الرغم من ذلك كنت خائفة أن ينسـى حمزة شيئًا ضروريًّا في المنزل، ويرجع ليأخذه، فعندئذ سيفاجأ برؤيتي أنا والأطفال نمشي على جانب الطريق. لذلك كنت أمشي مع الأطفال بين الأشجار القريبة، التي سوف تخفينا عنه، عندما يمر بنا بسيارته. أما الأطفال ففهموا ماذا سـيحدث إن عرف حمزة بنزهاتنا السـرية، وأصـبحوا ماهرين في الكذب حول أنشطتهم اليومية، عندما يرجع حمزة للمنزل.

obeikandi.com

أخبرنا حمزة في أحد الأيام بأنه قرر توظيف بُستاني. فقد كان يكسب مالًا كافيًا، ولم يرغب في الاعتناء بنفسه بفناء المنزل. وجد شابًّا سافر إلى راس تنورة من الهند، وكان يعمل عند كثير من جيراننا، ويستطيع تكلم القليل من العربية، لكني كنت أتحدث معه باللهجة السعودية حتى يفهمني. وعندما كان يقرع جرس الباب كنت أغطي وجهي قبل أن أفتح له، وفي أثناء عمل ذلك الشاب عند بعض جيراننا كنت أسمعهم يصرخون عليه، لذلك بدأت أعد طعام الغداء له ولبعض أصدقائه.

كان يشعر بالرعب عندما يطرق الباب، خاصة لأن القوانين في السعودية صارمة جدًّا، فإذا رأى أحدهم أو اعتقد حصول شيء غير لائق بيننا، فسوف يُقتل ذلك الشاب. لكني أقنعته بأن يقرع الجرس. كان لدينا طعام كافٍ للتبرع ببعضه صدقة، وحمزة لن يلاحظ أن شيئًا اختفى، وإضافة إلى ذلك لم أكن آكل الكثير في ذلك الحين؛ لأني كنت أعاني غثيان الصباح بسبب الحمل، لقد أنجبت أربعة أطفال، ولم أمرض خلال حملي لهم أبدًا، لكني كنت مريضة طوال الأشهر التسعة من حملي بطفلي الخامس.

في صباح أحد الأيام بعد أن ذهب حمزة للعمل استقبلت مكالمة هاتفية من صديقة قديمة التقيتها، عندما كنا نعيش في الرياض. فقد اتصلت نسرين بحنان أخت حمزة، وطلبت منها رقم هاتفي الجديد، وأخبرت حنان بأنه من الضروري جدًّا أن تتحدث معي.

«فدوى! أنا نسرين! كيف أحوالك في راس تنورة؟».

رحبت بها بحرارة، ثم دخلت نسرين بسرعة في لب الموضوع.

«أنت تعرفين يا فدوى، أن أمي تعيش بالقرب من والدي زوجك، صح؟ تريد أمي أن توصل لك رسالة، أنا أعرف أن حمزة يزور والديه كثيرًا في فلسطين في الآونة الأخيرة، لكن في المرة المقبلة التي يذهب فيها إلى هناك عليك أن تذهبي معه. لا تبقي مع والديك في الأردن، اذهبي معه».

ذهلت قليلًا.

«لماذا قالت ذلك؟».

«لأن حمزة يبحث عن زوجة ثانية، وهو جادٌّ كثيرًا».

أغلقت سماعة الهاتف ويداي ترتعدان، وخلال الأشهر القليلة المقبلة راقبت حمزة عن كثب، لكنه بقي في السعودية معي أنجبت طفلنا الخامس، وأسميناه عبدالرحمن، وناديناه باختصار (عبود). كنت على وشك أن أقنع نفسي بأن حمزة نسي موضوع الزوجة الثانية، لكنه أعلن فجأة أنه يريد الذهاب في إجازة إلى الأردن.كنت سعيدة لأن عائلتي سوف ترى مولودي الجديد، لكني عرفت أن علي مراقبة حمزة بحذر أكبر.

كان حمزة لطيفًا على غير عادته خلال الرحلة، وشجعني على المبيت أنا وأطفالي عند عائلتي، فهو في العادة لا يسمح لي بالبقاء معهم أكثر من بضع ساعات. أقام حمزة في منزلنا في الأردن؛ لأنه من غير المعتاد أن يبيت الرجال في منزل أنسبائهم، وعلاوة على ذلك، ستكون أخواتي هناك، ولن يستطيع إمضاء وقت طويل في وجودهن؛ لأن على الرجال والنساء أن يبقوا منفصلين. كنت خائفة أن يسافر حمزة إلى فلسطين؛ لذلك وعدني بأن يترك جوازات السفر في المطبخ، حيث أستطيع العثور عليها بسهولة، أخذت بكلمته ربما بسبب الإرهاق. وفي صباح اليوم المقبل اعتنت سميرة بأطفالي، بينما استقللت أنا سيارة أجرة إلى المنزل، وبحثت في الخزانات والأدراج، لكني لم أجد شيئًا. رحل حمزة، وأخذ جواز سفري معه؛ حتى لا أتبعه إلى هناك.

جلست على طاولة المطبخ أبكي ورأسي بين يدي، شعرت لحظة بالهزيمة، لكن خطر لي أن الوقت ربما لم يفت على إيقاف الزواج. لذلك جلست ساعات أكتب رسالة طويلة وعاطفية أعبر فيها عن مشاعري نحو حمزة. فقد أردته أن يعيد النظر في قراره، لكني أردته أيضًا أن يفهم شعوري حول زواجنا، حتى إنني عنونت الرسالة بعبارة (دموع بلا حدود):

قبل سنوات مضت كنت حزينة، وأنا أُزفّ إليك تعيسة باقتراني بك، وساورتني ندامة ودمعة حزن على زواجي منك، واستسلمت، ورضيت بنصيبي، وقلت: عسى الله أن يجعل لي الخيرة، وتركت أهلي ووطني، وسافرت معك الى أمريكا، وتحملت مزاجك الذي لا يطاق، وكنت لا تتحدث العربية، فعلمتك القراءة والكتابة، كنت أقوم لصلاتي، وأقف بين يدي الله أسجد وأركع، وأنت تنطر إلي، وأدعوك للوقوف بين يدي الله، فلم تجب، فدعوت لك بالهداية، وأصوم شهري، فلم تشاركني في الصيام، فاستمررت في الدعاء لك، وبعد سنتين من زواجنا، وبعد إنجابي الطفل الأول تنازلت عن كبرياء، وقلت لي: إنك لا تعرف كيف تصلي، فعلمتك السجود والركوع وأحكام الصيام، وقلت: عسى الله أن يغير قلبك للأحسن تجاهي، وصبرت

عليك، كنت أتمنى كلمة حلوة تطيب بها خاطري، وتخفف عني غربتي وفراقي لأحبتي، تزوجتك وما زلت طالبًا في كليه الطب، فلم أحملك فوق طاقتك من المصاريف، ولم أسألك شيئًا، وتخرجت وأصبحت طبيبًا، وأصبحت تملك، وتجمع الفلوس، فلم يكن في بالي أن هذا المال سوف تأتي امرأة أخرى في حياتك، وتعيش في هذا النعيم الذي حرمت أنا منه. أنجبت لك ثلاثة صبيان وابنتين، وربيتهم على طاعة الله، وكانوا من المتفوقين في الدراسة. وأحسنت إلى أهلك، وتحملت معاملتهم السيئة لي، وقلت: أحتسب عند الله، وأطعت أنت والديك على عمى، تعمل بكل كلمة تُلقى منهم ضدي، ولا تسألهم: لماذا؟!

أنجبت ولدك الخامس (عبدالرحمن) ولم يكمل ٣٠ يومًا من عمره، والآن يأتيني خبر زواجك من امرأة أخرى. عار عليك أن تكذب على امرأة صبرت على خلقك السيئ، ومشت معك الدرب حتى أصبحت من المتعلمين ومن أصحاب المال، ولا أذكر مرة واحدة أرفض ما تلقيه علي، استغللت طيبة قلبي وسكوتي، ولم أشكُ إلا للذي خلقني، خلقنا الله عز وجل لأمر عظيم هو عبادته، فأين موقع هذا الأمر من دقائق حياتك؟!

وأذكرك بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأراك تكدح الليل والنهار من أجل دولارات تجمعها، وأنستك الدنيا الفانية الآخرة الدائمة، فأنت تعمل للدنيا وتجدّ وتحرص، وكأنك مخلد فيها، وتساهلت في أمر الآخرة، وكأنك لن ترحل إليها. وطاعة الوالدين بالمعروف واجبة، وهي من أعظم القربات إلى الله عز وجل، ولكن أرى منك تململًا، حينما أطلب زيارة والدي... وتستثقل طلبي الذهاب لهم في كل سنة مرة نذهب بها إلى الأردن، خاصة في أوقات مرضهم أو ضعفهم! ودائمًا تعلل ذلك بأن الهاتف موجود، ويكفي الاتصال بهم، لعلك تعينني على زيارتهم وتفقد حاجاتهم وبرهم وصلتهم.

كذبت علي كذبة مشينة، وتعلم أني أكره الكذب، أخفيت جوازات سفري أنا والأولاد، بعد أن قلت: سوف تتركها لي في البيت لألحق بك إلى فلسطين، فبهذه الكذبة لن أسامحك، لقد حاولت جاهدة أن أسعدك، ونسيت نفسي أو تناسيت، رسمت بسمتي على شفتي بيدي، أرى أبنائي يكبرون يومًا بعد يوم، واضعة فيهم الأمل، وأعطيتهم حبي وحناني، واليوم أنت حرمتني هذه الابتسامة، ووضعت مكانها دموعًا.

إن كنت بعد لم تتزوج أود منك أن تفكر في بيتك وأولادك جيدًا، وأن تتراجع عن موضوع الزواج قبل الندم يوم لا ينفع الندم.

openkandil.com

إن كنت قد تزوجت فلا يسعني إلا أن أدعو بأن يبارك الله لك، ولكن لن تعود الحياة بيننا كما كانت.

زوجي، رزقك الله العافية، وألبسك لباس الإيمان والتقوى، وأقر عينيك بصلاح أبنائنا، وأسال الله أن يلهمني الصبر على مصيبتي، ويخلفني خيرًا منها. وإنك يا زوجي، تركتني في بحر دموع، وليس له حدود، ليس له مصب إلا في أحضان الله عزوجل.

المتألمة (دموع بلا حدود) فدوى أم يوسف. «لو وجد العدل لما رأينا الحزن، ولكن إلى الله المشتكى».

أقنعت حنان أن تأخذ رسالتي معها إلى فلسطين، لكني لم أستطع الجلوس مكتوفة اليدين، بينما يتزوج زوجي. فقررت أن أذهب إلى فلسطين لأوقف الزفاف، لكن حمزة أخذ جواز سفري. لذلك ذهبت إلى السفارة الأمريكية في الأردن، وشرحت لهم أنه علي الذهاب إلى فلسطين، وأن جواز سفري مع زوجي. وعندما دخلت السفارة انتظرت في الطابور ساعات، ثم شرحت وضعي مرة أخرى لسيدة وراء نافذة زجاجية، وأريتها هويتي الأردنية التي تركتها مع والدي، عندما تزوجت، وسافرت للخارج، ابتسمت السيدة ابتسامة تعاطف.

«يمكنني أن أعطيك جواز سفر مؤقت، لكن عليك أن تريني عقد زواجك، وأن تحضري صورًا لجواز السفر معك».

هززت رأسي موافقة، وشكرتها، لكني علمت أني لا أستطيع جلب هذه الأشياء بسرعة، فكل يوم يمر يمنح حمزة وقتًا أكثر للزواج في اليوم المقبل، ذهب أبي معي إلى إستوديو للتصوير في وسط المدينة، وهناك وقفت أمام عدسة الكاميرا محاولة ألا أبدو كئيبة، ومضت الكاميرا، وأخذ المصوّر الفيلم لتحميضه.

«حسنًا يا سيدتي، ستكون صورك جاهزة غدًا».

ابتسمت بأدب، وغادرت أنا وأبي، ثم أخذت نسخة من عقد زواجي لمترجم ليترجمها إلى اللغة الإنجليزية، وطلبت من أبي أن يستخرج لي نسخة إضافية من الترجمة لأحتفظ بها.

وفي اليوم المقبل أخذت عقد الزواج المترجم وصورًا لي، ورجعت عائدة إلى السفارة الأمريكية، وبعد الانتظار في الطابور ساعات طويلة حصلت أخيرًا على جواز سفري الأمريكي المؤقت.

obeikandl.com

وهكذا أصبحت جاهزة لأسافر إلى فلسطين؛ لأمنع حمزة من الزواج. ثم تخيلت كيف سأذهب إلى هناك، وأرى حمزة يمسح بقلق العرق عن جبينه، وعروسه الصغيرة تبكي، عندما أخبر المأذون بنبرة غاضبة بأن حمزة رجل متزوج أصلًا. وسيتذكر حمزة عندما يراني أن له زوجة صالحة وخمسة أطفال، وأنه لا يحتاج إلى عائلة أخرى.

رفعت سماعة الهاتف، واتصلت بوالدي حمزة مرة أخرى. ثم سمعت نغمة عالية سريعة، فعرفت من خلالها أن والد حمزة قد نزع سلك الهاتف، وتركه على طاولة المطبخ. لكني لم أستسلم، واتصلت مرة تلو الأخرى، مغلقة السماعة بعنف كلما سمعت تلك النغمة المزعجة.

ثم تذكرت أن أم فادي (وهي صديقة التقيتها في السعودية) تمضي إجازة في الأردن حاليًّا، ويحتمل أنها سمعت شيئًا من أقاربها. لذلك ذهبت، وبحثت عن رقم هاتفها بين بعض الأوراق المبعثرة، وعندما سمعت صوتي بدت مترددة.

«فدوى، يا لها من مفاجأة! كيف حالك الآن؟».

«ماذا تعنين بالآن؟».

«ألا تعلمين؟».

«أعلم ماذا؟» كأنه صوت شخص غريب لا يعرف عن الموضوع شيئًا.

أخبرتني بهدوء كيف ذهب ابنها إلى فلسطين ليزور جدته، وبينما كان يمشي في وسط المدينة رأى موكبًا من سيارات سوداء تمر بجانبه وأصوات التنبيه تعلو منها. ثم التفت إلى شخص غريب يقف بقربه، وسأله: عرس من هذا؟

«قال لي ابني: (لقد كان عرس الدكتور حمزة يا أمي. أخبرت ذلك الغريب بأن الدكتور حمزة متزوج أصلًا، لكنه هز كتفيه، وذهب في طريقه)».

لم تعرف أم فادي من كانت العروس، لكني شكرتها، وأغلقت سماعة الهاتف. لم يعد في اليد حيلة الآن، إلا أنني استمررت في الاتصال، فقد عرفت أنهم لن يتركوا الهاتف منزوعًا للأبد، وبالفعل، بعد بضعة أيام رد عليّ أبوحمزة.

«ألو؟».

obeikandl.com

«أنا فدوى».

لم يقل كلمة أخرى، عندما عرف أنني المتصلة، لكن بعد لحظة رفعت حنان السماعة.

«فدوى؟».

«هل ذلك صحيح يا حنان؟ هل تزوج حمزة؟».

«من أخبرك يا فدوى؟».

«أخبريني إن كان زوجي قد تزوج امرأة أخرى».

صمتتْ لحظة، ثم تنهدت، قائلة: «نعم».

«من تلك المرأة؟».

«إنها غادة. تزوجا في الثلاثين من شهر تموز».

«لا. هذا مستحيل. أخت نسرين؟ لكن أم نسرين حذرتني، وقالت لي: ألا أدع حمزة يسافر إلى فلسطين وحيدًا! لماذا تفعل ذلك إن كانت أعطته ابنتها؟».

«لا أعرف يا فدوى».

«حنان، أريد رقم هاتفها».

«رقم من؟».

«أم نسرين».

«لماذا تريدين الاتصال بها؟».

«أريد التحدث معها. هل معك الرقم أم لا؟».

لم يكن الرقم مع حنان، لكن كان علي أن أعرف لماذا تخونني أم نسرين بعد أن تظاهرت بأنها تساعدني. فأجريت بعض المكالمات الهاتفية، لكن لم يعرف أحد الرقم، وفي النهاية اتصلت بنسرين في السعودية.

تخدرت يداي، وارتعدتا من الغيظ، وكانت سماعة الهاتف تهتز على أذني، وأنا أنتظر نسرين أن ترد. وفور سماعي تحيتها صرخت قائلة:

obeikandi.com

«لماذا فعل والداك هذا؟».

«أأنت المتصلة يا فدوى؟ ما خطبك؟».

«تزوجت أختك زوجي».

صككت على أسناني، وأنا أستمع إلى نسرين تعتذر بالنيابة عن والديها.

«لم أعرف أنها هي من تزوجته يا فدوى».

لكنها أعطتني رقم هاتف والديها، وعندما اتصلت بوالدتها انفجرت قائلة:

«لماذا فعلت هذا بي؟».

أجابتني أم نسرين بصوت هادئ يملؤه الإحراج، قائلة:

«كان زوجك سيتزوج بأي شكل من الأشكال، سواء من ابنتنا أو من ابنة شخص آخر. عمّ نسرين صديق حمزة، وعندما قال حمزة: إنه يبحث عن زوجة أخبره عمها بأن لديه ابنة أخ غير متزوجة، أرجوك أن تفهمي موقفي يا فدوى، غادة تبلغ العشرين من عمرها الآن، ولم يتقدم إليها أحد حتى الآن لطلب يدها، وعندما أتى حمزة ليتحدث معي ومع أبيها عرفنا أن لا خيار آخر لدينا، فهي لن تجد رجلًا عزبًا صغيرًا في العمر؛ لذلك كانت فرصتها الوحيدة أن تصبح زوجة ثانية».

لم أرد عليها، وأغلقت سماعة الهاتف، عدت ورفعت سماعة الهاتف بسرعة. اتصلت بسميرة، وأخبرتها بأن حمزة تزوج، ثم ساعدتني على إخبار والديّ، اللذين تفاجأا بأن زواجي من حمزة لم يكن زواجًا رائعًا كما اعتقدا.

«لكنك لم تقولي شيئًا!».

«ماذا كنتما ستفعلان عندئذ؟ فقد كنت سأظل معه بأي حال، فأنا لم أردكما أن تحزنا، وتقلقا علي».

حذرتني أمي بسرعة ألا أرضع عبود.

«أنت مكتئبة يا فدوى، وحليبك ليس جيدًا للطفل وأنت في هذه الحالة».

وافقتها على مضض، وطمأنتها بأنني سأكون على ما يرام.

obeikandl.com

بعد أن أغلقت السماعة فكرت فيما سأفعله الآن، فأنا لا أستطيع العودة إلى السعودية مع حمزة، وأتظاهر بأن شـيئًا لم يحصـل، ربما أبقى هنا في الأردن مع أطفالي. وبينما كنت ألقي نظرة على منزلنا شـعرت بالغثيان من مجرد التفكير في الجلوس على ذلك الأثاث المصـنوع معظمه من ألواح خشـبية مثبتة بغير إتقان بمسـامير، سـحبت رجل طاولة صـغيرة في غرفة المعيشـة، ووجدت أنها انكسرت بسـهولة، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأرجل الأخرى لأول مرة منذ الأيام القليلة الماضـية ابتسمت ابتسـامة حقيقية. وهكذا ذهبت من غرفة لأخرى، أكسّر أثـاث والدي حمزة، وأرمي قطعة قطعة، الكراسـي والطاولات والفراشـ في حاوية كبيرة على الجهة المقابلة من الشارع. ولم أترك شيئًا إلا فرشة وبعض البطانيات والأوعية والمقالي.

obeikandl.com